

## كيف صرف الله

عنى السوء ؟

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

اشتهيت أن أقول الشعر في الأسبوع الماضي ، بعد أن فطمت قلبي عنه سنوات وسنوات ، فدخلت مكتبي - أعني غرفتها لا رفوف الكتب فيها - وأغلقت الباب ، وقلت لنفسى « الآن ، أنت أن يزجني هؤلاء الأطفال الملعين ويطيروا على - أو ما بقي لي منه ، وهو قليل - بضجائهم وكراهم وزماراتهم وأسألهم التي لا تنتهى ، ومشاكلهم الموبصة التي لا تحل ، واستبدادهم الذي لا يطلق . إنهم أطفال جديدون وأنا رجل قد شتخت ، وهم حركة دائمة ، وأنا فتور يزداد على الأيام ، وسينتهى - عاجلاً أو آجلاً ، بل آجلاً إن شاء الله - إلى الركود . وهم استعداد مطلق ، وأنا نطاق محدود . وكيف بالله أطيع ان أظل ألعهم الكرة ، أو أجاريهم في الزمر والوثب والصرع ؟ وما صبرى على هذه الأسئلة التي ليس لها عندي جواب ؟؟ سألتى أحدم - أصغرم - « بابا . . . »

فيقول الخازن لأمير المؤمنين : « ما أنا لك بخازن ، ولا لأهل بيتك ، إنما أنا خازن المسلمين : ثم يجيء يوم الجمعة وأمير المؤمنين يحطب فيقول « أيها الناس : زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته ، وإنما كنت خازناً للمسلمين ، وهذه مفاتيح بيت مالكم » ويرى بها ...

\*\*\*

هذا هو تاريخ المعجزة التي جاء بها سيد العالمين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو تاريخ الإنسانية الكاملة ، تاريخ المسلمين الأولين ، خلاصة البشرية . فطالموا يا شباب المسلمين ، وتدارسوه ، واسمعوا لتكتبوا هذا التاريخ مرة ثانية على صفحة الحياة .. وتقولوا للعالم بأفئالكم لا بأقوالكم : نحن أبناء أولئك الآباء ..

على الطنطاري

قلت : « نعم »

قال : « هل أنت بابا ؟ »

قلت : « نعم ، وأمرى إلى الله يا بنى »

قال : « صحيح ؟ »

قلت : « أو يخامرك شك ياملون ؟ أم لا يمجيك أبوك ؟؟ »

فجعل يردد كلمة « بابا » مستغرباً ثم سأل « يعنى إيه ؟ »

فلم أجد عندي جواباً حاضراً لسؤاله ، وعالجته ، وحاورته وداورته حتى انصرف عن هذا الموضوع ، ولكنه لم ينسه ،

فهو يكر على به كل بضعة أيام . فمن كان يعرف لسؤاله هذا جواباً مقبولاً فليسمعني به ، وله الثواب من الله

وسألتى مرة ، ونحن على السفينة الذاهبة بنا إلى بيروت :

« هذا هو البحر ؟ »

قلت : هو بعينه - أعني بمرجه »

قال : « هل للبحر حنفية ؟ »

قلت : « لا »

قال : « لماذا ؟ »

فهربت من الجواب لأنه طويل ، وكان بي كسل في تلك الساعة ، فعاد يسأل :

« ماذا يحدث إذا وقمت فيه ؟ »

قلت : « تفرق وتموت »

قال : « يعنى أكون كالمسك الذي فيه ؟ »

قلت : « كلا . إن السمك الذي فيه سى ، أما أنت وأنا فإنا نموت إذا وقعنا فيه ، لأننا لا نعرف السباحة ، ولم نخلق لتعيش

في الماء كالمسك »

قال : « نموت كيف ؟ »

قلت : « نموت يا أخى ! سبحان الله العظيم ! »

قال : « ولكنى أريد أن أعرف »

قلت : « أنا لم أمت ، فكيف أعرف ؟ »

قال : « بابا »

قلت : « ياسار استر . نعم ياسيدى ! »

قال : « أريد منك شيئاً »

قلت : « على العين والرأس يا حبيبي ، قل ياسيدى . تفضل

ياروحى ! »

قال : « لماذا تتكلم هكذا ؟ »

قلت : « لأنى أعرف أنك مليون خبيث »

قال : « لا . . . » وضحك « إنما أريد أن أراك »

قلت : « وهل عميت ؟ ألسنت ترى أمامك ؟ »

قال بسرعة : « لا لا لا . . . إنما أريد أن أراك ، فى . . . »

فى الماء ! »

قلت : « تمال إلى الحمام ، فان فيه حوضاً عظيماً »

قال : « لا » ممطوطة ، بازدراء ، « فى البحر . . . »

قلت : « معنى تريد أن أغرق ، وأموت ؟ »

قال : « آه ! لأجل خاطرى . ألسنت تحببى ؟ »

فلولا أن أدركتني أمه ، لوجب على أن أغرق تحت عينه .

وهكذا إلى آخر ذلك إن كان لنا بتقاضانى آخر يعرف

فقال لى نفسى : « اسمع يا مازنى . انك قليل العقل ، مافى

هذا شك »

قلت : « أشكرك . فهل تسمحين أن تبينى السبب ؟ »

قلت : « نعم . هذا أنت تخلوى ، لتنظم شعراً ، فبدلاً

من أن تتناول القلم وتكتب ، تذهب تتمثل ما يدور بينك وبين

أولادك ، فتضيع الوقت فى غير طائل ولا تصنع شيئاً . فاذا لم

تكن هذه قلة عقل فانه يسرنى أن أعرف ماذا هي ؟ »

قلت وأنا مفيظ : « استدراك ! إنى لا أخلو بك لأقول

الشعر ، أعنى أنك - ولا مؤاخذه - لست الباعث على قول

الشعر »

قلت :- « لا تكن قليل الذوق أيضاً ! »

قلت : « إنها الصراحة والحق ، لا قلة الذوق . ثم إنك

مخطئة . فانى لم أدخل هذه العرفة لأنظم شعراً ، بل إنى اشتبهت

هذا ، فأنا أريد أن أهتدى إلى الوسيلة التى تعينى عليه »

قلت : « الوسيلة ؟ أية وسيلة ؟ تناول القلم واكتب ! »

قلت : « يا سلام ؟ ما أذكاك ! لو كان هذا كل ما يتطلبه

قول الشعر لما عجز أحد عنه »

قلت : « إذن ماذا تبغى ؟ »

قلت : « اسمى أقل لك . . . إنى أصفيت ، أو على الأصح

انتقلت عن النظم لأنك خلية ، فأنا أريد الآن أن أشجوك ،

أعنى أن أملاكك »

قلت : « كيف ؟ فانى غير فاهمة ؟ »

قلت : « لك المذر ، فقد صرت كالصحراء ، التى نسيت

الماء من طول ما انحس عنها »

قلت : « ألا تقول وتوجز ؟ »

قلت : « إذن أقول إنى أريد أن يعمر قلبى الحرب ، وبمباراة

أخرى أقرب إلى فهمك الكليل ، أريد أن أحب »

قلت : « تريد ؟ هه ؟ »

قلت : « آه أريد ! وأى غرابة فى ذلك ؟ »

قلت : « لا فائدة من الخلاف فانك مكابر ، وماذا تنوى أن

تصنع ؟ »

قلت : « أنوى ؟ ليس أسهل من ذلك ! أدور بمينى حتى

تقع على واحدة تستحق أن أحبها - هذا ما أنوى أن أصنع »

فقط شفيتها - مجازاً - وأشاحت عنى بوجهها ، فقلت فى

سرى ، والله لأغيطانها ! وخرجت ألتمس الحب ، وأدور بقلبي

على النساء ، وأفتحه لمن شاءت أن تقع منهن فيه ، وكنت

مستهدماً - لأكيد لنفسى - أن أحب عشرين امرأة دفعة واحدة ،

ولم لا ؟ إن كل ما يعنينى ، وما أبتغيه ، هو الحب ، لا المرأة ،

وأثره لا وسيلته وأداته ، فكلمها كانت النار أقوى ، واللهب أطل

كان ذلك خيراً لى ، ثم إنى أريد أن أجرب كل حب ، أعنى

الحب من كل صنف ، ولون ، حتى الذى يعقب الخليل ويورث

الجنون ، والذى يحرق الثياب ، ويترك القلب عارياً

وصرت كلما رأيت سرباً من الفتيات ، أقول لمن

« ادخلن يا فتيات ! »

فيقلن : « أين ؟ »

فأقول : هنا فى قلبى .. إنه عظيم ! شئ سهول جداً . يسمكن

جميعاً ويسع مائة من أمثالكن . البدار البدار ، فانها فرصة لا تعوض

فيتضحكن ويعضين عنى - لا أدرى لماذا ؟ كأنما هن طلبة

فى الحياة غير الحب ، أو سبيل إلى طلبتهن غيره ؟

والأق غيرهن . فأدق الناقد ، وأستوقفهن وأسألهن :

« ما قولكن ؟ »

فيقلن : « فى أى شئ ؟ »

فأقول : « فى أن أحبكن جملة ؟ »

فيقلن : « مجنون ؟ »

فأقول : « أطمئني . فاني أعرف ما لا تعرفين ! هذا قلبي قد فتحته لسكن ، على آخره ، فادخلني فيه ، أنتن ومن تحترن غيركن من صواحبنا تسكن ، فلن يضيق بكن ، فانه أعمق وأرحب من البحر الأعظم . . . أزخرنه لي ، وغصن في أعماقه ، وامددي لي أيديكن بالدر المكنون الذي لا تبلغه يداي »

فيمضين عني ولا بعبان بي ، فيهبط قلبي ، وتفتر دقاته ، وتعي نبضاته ، وألح النفس تبسم ابتسامة الشماتة ، فيستفرني ذلك ، فأكر إلى البحث

ولا أطيل . . . لقيت آخر الفتاة قالت لي :

« هل تريد أن أحبك ؟ »

قلت : « لا . . . إنما أريد أن أحبك أنا »

قالت : « وماذا يمنعك ؟ »

قلت : « صحيح ! أما والله إني لمنفل ! وماذا منعتني أن أحب نساء الدنيا كلهن ؟ أم تراني كنت أحسب أن الأمر يحتاج إلى استئذانهن ؟ »

فقلت وهي تضحك : « أنت تحبني - هذا حسن . . . »

فقاطعتها قائلاً : « لا تفلطي يا فتاتي ، إني «أريد» أن أحبك »

قالت : « لا بأس . أنت تريد أن تحبني ، هذا حسن ، وأنا ماذا أصنع بنفسى ؟ »

قلت : « لا شيء . أو إذا شئت ، فان في وسعك أنت أيضاً أن تحبيني »

فضحكت وقالت : « أهو شيء . بالأرادة ؟ »

قلت : « إنك سخيفة كنفسى ، ولا مؤاخذة ! »

فقلت : « ولماذا تريد أن تحب ؟ »

قلت : « لأنى أريد أن أقول شعراً ، وعلى أن هذا شيء . لا يعنيك ، فدعيني وما أريد ، والياق على ، فلن يكلفك شيئاً »

\*\*\*

فتركتني لرأيتي ، وجملت وكدي بمد ذلك أن أحبها ، وذهبت أقنع قلبي بأنه قد أصبح عامراً - ولكن نفسى - قبحتها الله ، أو زادها قبحاً - كانت تخرج لي لسانها هازئة ، فيهبجني هذا منها ، ويسخطني عليها ، فأغافلها أحياناً وأتحسس قلبي بيدي لأستوثق ، وأضع راحتي على بطني لئلى أشعر بالنار التي يجب أن تكون مضطربة فيها ، فلا أحس أن النبض أسرع أو أقوى ،

ولا ترتد راحتي - إلا باردة كما كانت . فأقول لفتاتى :

« إسمي . هاتى أذنك ، فاني أخشى أن تسمى نفسى فتشمت بي »

وأسر إليها انى لا أحس شيئاً من مظاهر الحب . وعلاماته ، فأنا آكل كاللهوم ، وأنام كأنى حفت بالبورفين ، ولا أراى أفكر فى شيء غير مايتفق أن أكون فيه ، . . . لاخفقان فى القلب ، ولا اضطراب فى الصدر ، ولا شوق ، ولا شيء مما يصفه المحبون غيرى ، بل أنا أنسى اسمك ، وأسميك كل يوم ، كما تعرفين ، اسماً جديداً ، فأى حب هذا ؟ خبرينى !

فقلت : « لا أدرى - هو حبك ، على طريقتك ، إذا كان صحيحاً أنك تحب »

فأسألها : « ولكن هل تظنين أنى أحب ؟ »

فتقول : « وكيف أعرف أنا ؟ »

فأسألها مستغرباً : « ألم يقولوا إن بين القلب والقلب رسولاً ؟ فكيف ضل الرسول يا ترى ؟ »

فتقول : « لم يأن أن تحب يا صاحبي . ولست بفتاتك على ما أرى ؟ »

فأقول : « ولكنك الفتاة الوحيدة التي وافقتنى على ما اقترحت ؟ »

فقلت : - وأدهشنتنى - « نعم . وافقت ورضيت . بأن تحبني إذا شئت ، فبقيت أنت لا تحب ، ووقمت أنا . »

فصحت بها : « إيه ؟ ماذا تقولين ؟ »

قالت - بهدوء - : « لقد سمعت . . . »

قلت : « أعيديه على مسمى . . . »

قالت : « كلا . . . هكذا أحلى ! »

فكاد الفرح يذهب بلي ، فما عرفت أن أحداً أحبني فى هذه الدنيا مذجت إليها ، ولا ذقت فى حياتى هذه اللذة ، ولم يكن ذنبى أنى حرمتها ، ولا ذنب النساء أيضاً ، وأحسب أن عيونهن تتخطاننى - لقصرى - فلا يريننى ، ولو رأيننى لأحبيننى بلا شك - كما فعلت هذه الفتاة الكريمة ، بعد أن جلست .

وعدت إلى بيتى ، وخلوت بنفسى فى المكتبة ، وقلت لها وأنا أ كاد أرقص « والآن يا نفسى ، يمكنك أن تعلقى من الفيض وتنقلقى من الكمد » وأحبست بالشعر يجيش فى صدرى .

فأنتي : « هل كذبت عليك بأثرى كما كذبت على غيرك ؟ »  
قلت : « على أنا ؟ لا ! وهل يستطيع أن يحدعني أحد ؟  
والآن اذهب . . . . »

قال : « بسرعة ؟ هكذا ! »

قلت : « نعم فاني أريد أن أمزق دواوين الشراء التي عندي »  
قال : « ألا يكفيك أن تكف أنت عن الشعر ؟ »

قلت : « كلا . . . وسأحرقها أيضاً بعد تمزيقها ؟ الشعر !  
يا للسخافة ! . . . »

قال : « أعطنيها ولا تمزقها »

قلت : « كلا . . . إنك شاب . وحرام على أن أسيء إليك  
وأن أضلك . . . اخرج . . . اخرج . . . مع السلامة . . . »  
إبراهيم عبد القادر المازني

ومسرت كأنه ليس على إلا أن أدهور لساني في شدق ، أو أن  
أرفع سن القلم على الورقة ، فاذا به يجري وحده بالكلام  
الموثق المعجب

وجئت بورقة ، وبريت القلم ، ووضعت تلك على رجلي ،  
وهذا بين أصابعي ، وتوكلت على الله ، وأقتت القلم على الورقة ،  
وإذا بنقر على الباب ، فكادت أجن ، ونهضت ففتحتني بكرهي  
فدخل صاحب لي فلما رأى تجهم وجهي قال :

« هل أنت مشغول ؟ »

قلت : « تسأل البحر هل فيه ماء ؟ »

قال : « معذرة . على كل حال لن آخذ من وقتك إلا دقائق ،  
إنك تعرف . . . »

وذكر اسم الفتاة - فتاتي التي تجني برك الله فيها -  
فصحت به « ايه ؟ »

فقال : « إني أتكم بلغة عربية فيها أظن ؟ »

قلت : « ألا توجز ؟ مالها ؟ »

قال : « حسن . سأوجز . إني سعيد »

قلت : « وأنا مالي ! »

قال : « هنثني ! »

قلت : « بماذا ؟ »

قال : « لقد قابلتها - للمرة الثالثة -

ولم أخبرك لأنه لم يكن هناك ما يستحق أن يقال .

ولكنها اليوم قابلتني - أعني استقبلتني بعد أن

خرجت أنت من عندها ، فكان مما قالته لي

« إنك شاب ، وأنا شابة ، وأنا أسبو إليك كما

تصبوا الي ، صحيح أفي أقول ليمض مزارق من

الكحول إني أحبهم ، ولكنني مضطرة الى هذا

لأحتفظ بودم ، أما أنت فشيء آخر - أنت

شاب مثلي ! »

فما قولك في هذا ؟ »

قلت : « قولي ؟ أنا ؟ »

قال : « نعم . ما رأيك ؟ »

قلت : « صدقها ! »

هلموا لحج بيت الله الحرام

على الباغيتين

« زمزم » و « الكوثر »

تؤدون فرضين

فرض الله ، وفرض الوطن

شركة مصر للملاحة البحرية

تسهر على راحتنا الحجاج وتحقيق رغباتهم

( اطلبوا البيانات الكافية من ادارة الشركة بمارة بنك مصر القاهرة )